

٢ - طرف عن عثمان

الزعة النزارية اليمانية

ولقد أكثر (صلى الله عليه وسلم) من النهي عن هذه الدعوة حتى أمر بشدخ المنادى بها بالسيوف كما أسلفناه ، وكذلك خلفاؤه الأبرار . ومن كعمر وحرصه على قمعها إذ نهى بشدة وغلظة عن رواية شعر المناقضة التي بين قريش والأنصار . وقد مر ذات يوم بحسان ابن ثابت وهو ينشد الناس بالمسجد فأخذ بإذنه وقال : يا هذا ارغاء كرغاء البعير فقال له حسان : دعني يا عمر فلقد رأيتني أنشد من هو خير منك في هذا المحل فيظهر لي استحسانه ؛ فمضى وتركه ولكن بعد أن نشرت هيبة عمر على حسان وسامعيه سحابة من وجوم . فانظر إلى أي حد بلغت الشدة من عمر حتى أنه يأخذ بإذن شاعر الرسول يؤنبه على إنشاده الناس الاشعار المثيرة للعصبية . وقل مثل هذا عن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب فإنه كان يحذو حذو رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في بغضه لهذه الدعوة الموبقة . وكان لا يرى لأحد على أحد فضلا إلا بالتقوى ، وخلاصة القول فإنك لن تجد في عصر هؤلاء الخلفاء الكرام من ينادى بهذه الدعوة المثيرة أو تسمع له ركرا .

بيد أن قرنهما قد ذر في زمن معاوية ابن أبي سفيان وإن حادثة عبد الله بن الحجاج ابن الحشرج الثعلبي ثم العطفاني لتكشف لنا الستار عن مبدأ ظهورها . وذلك أن كثيراً ابن شهاب الحارثي من سادات مذحج ومن امراء القحطانيين كان على أحد الجيوش المبعوثة من العراق إلى خراسان في زمن معاوية وكان عبد الله بن الحجاج من فرسان هذا الجيش ، وبارز يوماً أحد فرسان الخراسانية فقتله ، وأخذ سلبه وكان ثميناً فلم يدفعه إلى صاحب المغانم ، فنفس عليه كثير ذلك وطلبه منه فلم يدفعه إليه ، فأمر بضربه وسجنه ، ثم إن ابن الحجاج أفلت من السجن ، ورجع إلى العراق وجعل وكده اهتبال الفرصة بان شهاب حتى وافاه يوماً بأحد أسواق الكوفة ، فشد عليه بعمود هتك به مقدم أسنانه فخر صريعاً ، ومضى ابن الحجاج وهو يظن أنه قد قضى عليه وراح يفتخر بقوله .

من مبلغ ابني نزار أنني أدركت مظلمتي من ابن شهاب ويعني ابني نزار ، فرعى معد ابن عدنان ، وهي مضرو ربعة .

وعلى أثر هذه الحادثة اجتمع كثير من سادات اليمانية وإشرافهم وكتبوا لمعاوية ابن أبي سفيان كتابا جاء فيه : إن خسيسا من غطفان اعتدى على سيدنا كثير ابن شهاب ، فإن شئت أن تقيدنا من أسماء ابن خارجة فعلت .

وأسماء هو أسماء بن خارجة بن عيينة بن حصن بن حذيفة الفزارى ، سيد غطفان ، وقد تزوج الحجاج بن يوسف بأبنته هند بنت أسماء ، وجمع بينها وبين هند ابنة المهلب ابن أبي صفرة الأزدي القائد العظيم ، ولما قدمت ليلي الأخيلية على الحجاج ومدحته بأبياتها المشهورة التي منها : -

احجاج لا تعطى العصاة مناهم

ولا الله يعطى للعصاة مناهها

إذا نزل الحجاج أرضا مخوفة

تتبع أقصى داءها فشفاهها

شفاها من الداء العضال الذي بها

غلام إذا هز القناة سقاها

حباها وأحسن وفادتها وخيرها بالزول على أي الهنديين شاءت ، فأختارت هنداً بنت أسماء ، لأنها من قيس عيلان وقالت إن نزولي عند ابنة عمي خير لي ، وإكرام لها ، ولا حاجة بالأجنبية .

وأما معاوية ابن أبي سفيان ، لما قرأ كتاب اليمانيين الذين يطلبون القود من أسماء بدلا من ابن الحجاج ، قال : كلام أركتاب قوم أحرق من هذا ، وكتب لهم القود ، من لم يحن مخطور ، والجاني محبوس فليقد منه .

ولكن ابن شهاب وقومه لم يرق لهم هذا الجواب فقالوا كلا ، لا نستقيدها إلا من سيد مضر . وبلغ معاوية قولهم هذا ، فاطلق ابن الحجاج ، وقال أنا سيد مضر فليأخذوا قودهم مني .

وهكذا ذهب جق ابن شهاب لدى السلطان جزاء الخنزرة التي أثبت عليه إلا أن يأخذ البريء بالمدنب ، وما ذاك إلا أنه لا يرى أن ابن الحجاج يصلح أن يكون له نداء ، وإن بوائه لا يكون إلا في سيد مضر وهو اسحاق بن خارجة ومن هنا ترى أن هذه النعرة قد بدأت (بعد أن قضى عليها الرسول الأكرم وخلفاؤه من بعده) في زمن

معاوية ، وحركت في وقت مروان ابن الحكم الأموي الذي
قاد اليمانية يوم مرج راهط لمحاربة القيسية الذين بايعوا .
الضحاك ابن قيس الفهري لعبد الله ابن الزبير حين
اجتمعت جميع قيس معه ، وقيس مناط القلادة من مضر
وإذا تدبرت شعر مروان ابن الحكم بعد هذه الواقعة علمت
كيف استغل أنارة هذه العصية ليستفيد من حمية هذه
القبائل اليمانية ، وانظر إليه يعدد هذه القبائل اليمانية التي
دافعت عنه قيساً وكسرتها ، مفتخراً بها ومننداً بقيس ومرسلاً
عليها شديد مقته وشواظ غضبه وإن كانوا من أصله من
مضر قال :

لما رأيت الأمر أمراً صعباً

يسرت غسان لهم وكلباً

والسكسكين رجالاً غلباً

وطيئاً تاباه إلا ضرباً

ومن تنوخ مشمخراً صعباً

لا يأخذون الملك إلا غصباً

وإن دنت قيس فقل لا قرباً

وانظر معى في أبيات زفر ابن الحارث الكلبي
القيسي تحس منه الندم المرير على ما فرط منه من الهزيمة
والتحرق على أخذ النار من قبيلة كلب بن وبرة الفضاعية
وهي قبيلة الشرارات اليوم كما ذكرها الأمير شكيب
أرسلان رحمه الله في إحدى مقالاته في جريدة الشورى) .
وتلك القبيلة في القحطانيين بمنزلة قيس في النزاريين ،
وإليك بعض أبياته : —

انذهب كلب لم تنلها رماحنا

وترك قتلى راهط هي ماهايا

لعمري لقد أبقت وقعة راهط

لحسان صدعا بيننا متناهايا

فقد نبت المرعى على دمن الثرى

وتبقى حزازات النفوس كماهايا

أيذهب يوم واحد إن أساته

بصالح أيامى وحسن بلائيا

فلا صلح حتى تنخط الحيل بالقنا

وتثار من نسوان كلب نسائيا

وحسان الذي عناء بالبيت . هو حسان ابن مجدل
الكلبي زعيم قبائل كلب وخال يزيد ابن معاوية ، وأما أبيات

زفر فإننى أحس منها بمرارة الندم تلفظ من ألفاظه وجمرة
الحقد تضطرم في أحشائه .
فيخرجها شعره حمراء ملتبة على سنان ذابلة لينحط
بها خيل الكلبيين ويردى فوارسها ليشمت بهم نسوانه كما
شتمت نسوان كلب قبلهن بهن ، وقد أجابته عمرو ابن
الخلاصة الكلبي بقوله .

بكى زفر القيسي من هلك قومه

بعبرة عين ما يحف سجومها

يبكى على قتلى أصيبت براهط

تجاوبه هام القفار وبومها

ابحنا حمى للحى قيس براهط

وولت شلالا واستييح حريمها

يكيهم حران تجرى دموعه

يرجى نزارا ان تؤوب حلومها

فمت كمدا أو عش ذليلا مهبها

بحسرة نفس لا تنام همومها

إذا خطرت حولى قضاة بالقنا

تخبط فعل المصعبات قرومها

خبطت بهم من كاذنى من قبيلة

فمن ذا إذا عز الخطوب يرومها

ولما قضى أمر مرج راهط وذلك في سنة ٧٠ هجرية

سار زفر بن الحارث الكلبي إلى « قرقيسيا » (مدينة
على القرات) وبابع عمير بن الحباب بن جعدة السلمي
لمروان ابن الحكم ، وفي نفسه ما فيها بسبب قتل قيس
بالمرج ، فلما سير مروان عبيد الله ابن زياد إلى الجزيرة
والعراق كان عمير ابن الحباب معه ، فلقوا سليمان ابن
صرد الحزاعي رئيس جيش التدايين ، طلبه ثار الحسين
(ع) بين الوردة ، ولما كسرهم عبيد الله ازمع السير إلى
قتال زفر ابن الحارث « بقرقيسيا » وهو يومئذ زعيم
قيس فثبطه عمير عنه ، وأشار عليه بالمسير إلى الموصل
لقتال إبراهيم ابن الأشتر قائد جيش المختار ابن أبي عبيد
التقي ، وقال له ينبغي أن تأتى الموصل قبل أن يأتيا إبراهيم
ابن الأشتر ، فسار إليها ولقى إبراهيم بالخازر ، قال معه عمير
فانهزم جيش عبيد الله ، وقتل هو قتلة : « إبراهيم ابن
الأشتر ، وقيل قتله شريك ابن جدير التغلبي ، وكان من
أصحاب أمير المؤمنين ، ولما جاء خبر مقتل الحسين عليه السلام
(البقية على ص ٣٧)